

**التطور التاريخي للمجتمع الدمشقي من  
منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية  
الحكم العثماني (١٨٥٠ - ١٩١٨)**

**للدكتور محمد أحمد**

**قسم التاريخ**

**جامعة دمشق**



# التطور التاريخي للمجتمع الدمشقي من منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحكم العثماني (١٨٥٠ - ١٩١٨)

للدكتور محمد أحمد

قسم التاريخ

جامعة دمشق

مقدمة:

أولاً - التركيبة السكانية في دمشق.

ثانياً - شرائح المجتمع الدمشقي حسب التقسيم المهني.

ثالثاً - الأوضاع الاجتماعية للسكان والرعاية الاجتماعية.

رابعاً - مظاهر المجتمع الدمشقي ومدى تأثره بالغرب الأوروبي.

خامساً - الوضع الاجتماعي للمرأة الدمشقية وتطوراتها.

سادساً - أوقات الفراغ ووسائل الراحة والاستجمام لدى المجتمع الدمشقي.

خاتمة:

## مقدمة:

تتناول هذه الدراسة التاريخية - الاجتماعية تطورات المجتمع الدمشقي في العصر العثماني وتحديدًا منذ منتصف القرن التاسع حتى نهاية الحكم العثماني، وهي حقبة هامة تطورت فيها دمشق إلى أكبر محطة لقوافل التجار والحجاج من مختلف البلدان الإسلامية، وأضاف العثمانيون إلى أهمية دمشق الاستراتيجية أهمية دينية، فعُدَّها رابع المدن الإسلامية بعد مكة والمدينة والقدس وأطلقوا عليها اسم (شام شريف).

كما يهدف هذا البحث إلى دراسة الجوانب الاجتماعية مستقاة من المجتمع الدمشقي اليومي، كالتركيبة السكانية والطوائف الاجتماعية التي كانت موجودة في دمشق مثل المغاربة والمصريين والعراقيين والهنود وغيرهم من سكن دمشق وتبيان أثر هذه الطوائف على المجتمع الدمشقي.

كما يجيب البحث عن أسئلة مشروعة حول الأوضاع الاجتماعية للسكان ورعايتهم الاجتماعية؟ وما هي مظاهر المجتمع الدمشقي ومدى تأثره بالغرب الأوروبي؟ كما لا ينسى أن يتطرق لأوضاع المرأة الاجتماعية وتطوراتها، كما يلقي أضواءً على الموروث الاجتماعي وكيفية استخدام وسائل الراحة والاستجمام لدى أفراد المجتمع الدمشقي.

يسعى هذا البحث إلى إتباع المنهج العلمي الموضوعي في دراسة وتحليل المجتمع "سوسيولوجياً" مع المحافظة على البعد التاريخي. ويأمل أن يغطي البحث جوانب مهمة لم تأخذ حقها الكافي من البحث العلمي التاريخي، ألا وهي شمولية الأوضاع الاجتماعية لفترة هامة من حياة دمشق الاجتماعية كما صورها المؤرخون المعاصرون من منتصف القرن التاسع عشر وحتى أواخر العصر العثماني.

وتأمل هذه الدراسة أن تكون إسهاماً (ولو كان رمزياً) في تكريم دمشق عاصمة الثقافة العربية الإسلامية لعام ٢٠٠٨ وأن نعطيها جزءاً من حقها علينا حيث تعلمنا في مدارسها وجامعتها، ونهلنا من ثقافتها التي أضاعت للبشرية دروب التقدم والتطور.

## أولاً - التركيبة السكانية في دمشق:

بلغ عدد سكان دمشق في منتصف القرن التاسع عشر حوالي (١٥٠) ألف نسمة ولم تكن هناك إحصائيات دقيقة للسكان على الرغم من محاولات الحكومة العثمانية القيام بذلك، إلا أنها اصطدمت بعوائق كبيرة منها إهمال الموظفين وتهرب السكان من التسجيل لعدم دفع الضرائب، ولوقوف عادات وتقاليد الدمشقيين حائلاً دون إحصاء عدد السكان فيها انسجاماً مع العادات والتقاليد السائدة آنذاك كما أن تركيبة السكان الديمغرافية كانت تتغير بشكل فجائي نتيجة للأمراض الوبائية كالطاعون والكوليرا والتي حدثت في أعوام (١٨٣١ و ١٨٤٨)<sup>(١)</sup>.

أما التركيبة السكانية فقد كان معظم الدمشقيين عرباً سوريين، سواء كانوا من سكانها الأصليين أو قدموا من مدن شامية أخرى. أو من أقطار عربية أخرى كالعراق (من بغداد والموصل) أو مغاربة (من فاس ومراكش والجزائر وطرابلس الغرب وتونس) أو من هواراة من جنوب مصر أو من السودان. كما سكن دمشق في القرن التاسع عشر أقليات صغيرة من غير العرب كالأرمن والأكراد والأتراك والداغستانيين والفرس والهنود والأفغان<sup>(٢)</sup>. وقد سكنت هذه الأقليات في أماكن محددة من حارات دمشق، كحارة الديلم وحارة السودان وقد سكن الأتراك في سوق ساروجة، أو بالقرب من ثكنات الجيش العثماني التي كانت تقع في غرب السرايا والقلعة، والأكراد في الصالحية وحي الميدان. ولما لم يستطع بعض هؤلاء الدخول إلى مدينة دمشق، استقروا في الصالحية، وانتحل زعماءهم لقب (آغا)، وشكلوا قوات ميليشيا شبه عسكرية للدفاع عن أحيائهم<sup>(٣)</sup>.

كما نرح إلى دمشق آخرون من مناطق خضعت للحكم العثماني مثل: بعض سكان البلقان من اليونانيين والألبان، وهم من المسلمين، وعدد من الأوروبيين، حيث تركز العدد الأكبر من أبناء ديارنتهم في حي باب توما وسكن أهالي كريت في حي المهاجرين<sup>(٤)</sup>.

أما التوزيع السكاني في دمشق حسب الديانات السماوية الثلاث: الإسلام والمسيحية في سورية، وتوزع هؤلاء بدورهم على المذاهب، فالمسلمون توزعوا حسب مذاهب السنة الأربعة (الشافعي، الحنفي، الحنبلي، والمالكي) والمذهب الشيعي الأثنى عشرية، وطوائف الموحدين الدروز، والعلويين، وتوزع المسيحيون على الكنائس الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، أما اليهود فقد انقسموا لفريقين: الشرقيين السفارديم والغربيين الأشكناز<sup>(٥)</sup>.

وكما تشير إحصاءات السكان في دمشق فقد زاد عدد السكان منذ عصر الإصلاحات (١٨٣٩ - ١٨٧٦) وحتى بداية القرن العشرين بمعدل نمو كبير لا يمكن تفسيره في المعدل السنوي للخصوبة وحده، والتفسير الأكثر رجوحاً هو أنه جرت في تلك المدة حركة نزوح من الأرياف وهجرة عدد كبير من الأرمن ومسلمي البلقان إلى دمشق وقد وصل تعداد السكان في دمشق في مطلع القرن العشرين إلى (٣٠٠ ألف نسمة)<sup>(٦)</sup>.

وتعد مدة البحث من عام ١٨٥٠ - ١٩١٨، مدة نمو مضطرد للسكان، إذا ما قسنا ذلك بالمشورات العادية. كما يعزى ازدياد عدد سكان دمشق لأسباب أخرى تتعلق بتحسين - ولو بطيء - للرعاية الصحية والتغذية والأمن وخاصة في أواخر العصر العثماني.

ولنلاحظ أيضاً من خلال وثائق المحاكم الشرعية في دمشق في القرن التاسع عشر وتوزيع السكان حسب الديانات. أن ازدياد أعداد الأقليات الدينية، ولاسيما المسيحيين، بفرضية تقول إن السلطات العثمانية وضعت منذ بداية الحكم في بلاد الشام، سياسة مقصودة ترمي إلى تشجيع هؤلاء على الهجرة من الريف إلى المدينة لضبطهم على نحو أفضل، وتشجيع الفعاليات الصناعية والتجارية فيها، كما أن انخفاض عدد المسيحيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يمكن تفسيره بهجرة قسم من هؤلاء إلى مصر، نتيجة الاتفاقات التجارية التي عقدها العثمانيون مع بريطانيا، ثم مع

فرنسة عام ١٨٣٨، وكانت تشمل مصر أيضاً، إضافة إل جو التسامح الديني الذي تميز به عهد محمد علي باشا<sup>(٧)</sup>.

كانت دمشق في القرن التاسع عشر عبارة عن لوحة فسيفساء شرقية نظراً للعدد الكبير من الجماعات المذهبية، لذا عمدت السلطات العثمانية إلى تنظيم شؤون الطوائف غير المسلمة حسب قانون الملك الذي كان يقضي بأن ينتخب رؤساء الدين من قبل أفراد الملة، وحصر تعيين البطريرك والأسقف بصدور أمر البراءة السلطانية<sup>(٨)</sup>.

وطبقت السلطنة العثمانية المساواة في المعاملة بين رجال الدين المسلمين والمسيحيين، وأصدرت عام ١٨٦٤ قانون تشكيل الولايات حيث منحت بموجبه الطوائف غير الإسلامية، حق التمثيل في مجلس دعاوى الأفضية، خوفاً من تدخل دول الغرب الأوروبي وصدر الأمر السلطاني برفع الجزية عن غير المسلمين ومنحهم حق حمل السلاح والخدمة العسكرية، كما قربت الإدارة العثمانية رجال الدين المسيحيين والمسلمين وعملت على كسب ودهم، ونظمت الأوقاف لدى الطرفين تحت إشرافها<sup>(٩)</sup>.

ويجدر أن نذكر هنا أن ضمن سياسة الاستيعاب العثماني للبلاد العربية، لم تغير السلطة العثمانية من التركيبة الاجتماعية في دمشق وأسسها الحضارية، ولم يتعد الأثر العثماني إلا على مستوى الطبقة الارستقراطية من كبار الأثرياء والتجار بحدود معقولة. أما بقية فئات المجتمع فقد بقيت على حالها السابق<sup>(١٠)</sup>.

### ثانياً - شرائح المجتمع الدمشقي حسب التقسيم المهني:

لقد أجمع علماء التاريخ السياسي على أن أركان الدولة الإسلامية ثلاثة: الشعب والإقليم والسلطة السياسية. أما الشعب فكان يقسم في العصر العثماني إلى طبقتين الطبقة الحاكمة المكونة من جهاز الحكم والمؤسسة الدينية وطبقة الرعية (دافعة الضرائب). فمن المعروف أن الدولة العثمانية عدت الشعب - الرعايا مكوناً من

مسلمين ومسيحيين ويهود على السواء، وهم متساوون أمامها في دفع الضرائب المتوجبة عليها للدولة<sup>(١١)</sup>.

ولابد قبل التعرف إلى شرائح المجتمع الدمشقي أن نعرّف الشريحة الاجتماعية (stand) فهي قطاع اجتماعي مبني على المساهمة الفعلية ذات الطبيعة الإنتاجية أو المهنية والتقرير المقرر اجتماعياً وتاريخياً لأهمية هذه المساهمة وفق الآراء المسلم بها عموماً حول مصالح المجتمع، وما من شك أن كافة المجتمعات بما فيها المجتمع العثماني كان عبارة عن مجموعة من العلاقات المعقدة بين الأفراد، وبين مختلف الفئات الاجتماعية أحياناً تكون هذه الفئات متميزة ولا روابط بينها، وأحياناً تكون متداخلة، والشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد يحددها هذا الفرد أو تحددها الفئات أو الشرائح الأخرى<sup>(١٢)</sup>.

تجمعت الفئات الاجتماعية الموجودة في مدينة دمشق لتشكل نسيجاً مترابطاً يجمع هذه الفئات على اختلاف انتماءاتها ومشاربها. كان على رأس هذا الهرم الاجتماعي الحكام العثمانيون وحاشيتهم، وكذلك الحكام المحليون وساعدهم بعض أفراد الأسر الدمشقية التي كانت معروفة بمكانتها الاجتماعية والدينية.

وقد شغلت هذه الأسر الدينية الدمشقية المناصب الهامة في دمشق، كآل حمزة والعجلاني والعمرى والبكري والشويكي والمحاسني والمرادي... واستطاعت هذه الأسر أن تكون لنفسها نفوذاً سياسياً في دمشق معتمدة على توجه عناصر المجتمع نحو العلوم الدينية، واعتمادها على مناصبها وعلى زعامتها للطرق الصوفية واتصالها بالمجتمع من خلال منصب الخطابة والتدريس لذلك كانت تعد الموجه الأساسي لفئات المجتمع.

وبالمقابل وجدت أسر مدنية تمكنت من إيجاد نفوذ اجتماعي قوي لنفسها، انحدرت من أصول عربية أو غير عربية، وخير مثال على هذه الأسر أسرة آل العظم التي كانت أول من عُرف منها إبراهيم العظم، الذي عاش في معرة النعمان، وكان جندياً قتل في



إحدى المعارك دفاعاً عن مصالح الدولة العثمانية، فكافأت الدولة ولديه إسماعيل وسليمان العظم بأمالك في حمص وحماه والمعرة فاستغلا منصبيهما وثروتهما وحصلا على أرفع منصب هو ولاية دمشق فاشتريا الأملاك العديدة<sup>(١٣)</sup>.

وكان من الأسر أيضاً أسرة التكريتي من أعيان الصالحية، وآل العظمة الذين عملوا في الزراعة والتجارة وآل الركاب وآل المورة لي، وآل الدالاتي، وغيرها من الأسر التي جاءت إلى دمشق.

أما التقسيم الاجتماعي لسكان دمشق حسب التقسيم المهني، فقد كان فيها كغيرها من ولايات الدولة العثمانية وهم يتوزعون على سبع فئات استطعنا رصدها يمثلها: الجماعات شبه العسكرية والعلماء والأشراف والمتصوفون والحرفيون والتجار والعامّة من الفقراء والفلاحين.

#### ١ - الشريحة الأولى: (الجماعات شبه العسكرية):

وهي القوات شبه العسكرية التي كانت تخضع لأمرة الأغوات مثل آل الشهبندر والبارودي والتيناوي وغيرهم. والذين كانوا يقومون بدفع مرتبات أفرادها ويتولون مهام الشرطة والجيش، وتسيطر على أحياء دمشق خارج السور في سوق ساروجة والقنوات والميدان، وسميت هذه الجماعات شبه العسكرية (باليرلية) وكثيراً ما كانت تصطدم مع القوات العسكرية العثمانية التي كانت تسمى بـ (القايقول) وقويت الشريحة الأولى إلى حد أن استمدت منها الحكومة المركزية حكام الولايات والسناجق، وقيض لبعض الأغوات حتى بعد عام (١٨٦٠) أن يضطلع بدور رئيس في شؤون حوران.

وعلى الرغم من تمتعهم بالنفوذ السياسي والاقتصادي القومي في دمشق، فإنهم لم يكونوا مرغوبين من قبل بقية أفراد المجتمع الدمشقي ذي العلاقة السيئة معهم، بسبب الاضطرابات التي كانوا يقومون بها في المدينة<sup>(١٤)</sup>.

## ٢ - الشريحة الثانية: (العلماء):

كانت من علماء الدين الإسلامي من مدرسين ومفسرين وأئمة، وكان لهم وما يزال حتى الآن تأثير معنوي وديني وفكري على سكان دمشق، فقد كان العلماء يتمتعون بالسلطة في منح الشريعة السياسية للولاة أو سحبها منهم، وأتاحت لهم الدولة العثمانية تسلم مناصب القضاء والنيابة في المحاكم، وتولى العلماء البارزون إدارة الأوقاف، وسعى بعضهم ليكون في عداد أعضاء الدواوين والمجالس والمؤسسات التعليمية. فالعلماء الدمشقيون الذين تولوا مناصب النائب كانوا من أسر ذات نفوذ سياسي كبير مثل آل البكري وحمزة والعمرى والأيوبي والغزي والمحاسني. كما تولى العلماء منصب الإفتاء الذي كان منظمة هرمية غير رسمية داخل كل مذهب فقهي وعلى المفتي أن يقضي في أية قضية شرعية كانت. ويساعده في ذلك (أمين الفتوى) وقد تسلم إفتاء الحنفية العديد من آل العمادي والبكري والعجلاني والحمزاوي. واستأثر آل الغزي بإفتاء الشافعية لمدة طويلة<sup>(١٠)</sup>.

## ٣ - الشريحة الثالثة (الأشراف):

وهم الأشراف الذين ينتسبون إلى النبي محمد ﷺ ولهم مكانة اجتماعية مرموقة وكانوا يتمتعون بامتيازات مدنية ووضع استثنائي في القضاء، ولهم نفوذ سياسي في أوساط الطبقتين الوسطى والدنيا في دمشق وقد عدد الأشراف في دمشق في أواخر القرن التاسع عشر بحوالي ألفي شخص، وقد منح السلطان عبد الحميد الثاني الأشراف استثناءً من الخدمة العسكرية، وقد تمكن بعض الأشراف من دخول مراتب العلماء، وترزع بعضهم الطرق الصوفية والطوائف الحرفية. وكان لأسر الأشراف مناصب قيادية ولهم شبه مؤسسة رسمية تسمى (نقابة الأشراف) ويتولاها نقيب الأشراف الذي كانت تعترف به الدولة العثمانية بشكل رسمي. وأهم من تولى هذا المنصب من آل الحصني والحجار والحسيبي والجزائري وعابدين والكيلاني والمرادي وبهنسي

والكزبري. وكان منصب النقيب أعلى منصب وهو المرجع الأخير في القضايا التي تتصل بحقوق الأشراف، وهو الحكم في المنازعات التي يكون فيها أحد الأشراف طرفاً<sup>(١٦)</sup>.

#### ٤ - كبار تجار دمشق:

شكل التجار في دمشق شريحة اجتماعية هامة ضمت كل فئات المجتمع من مسلمين ومسيحيين ويهود ومن غير العرب كالفرس والأتراك والأرمن وبعض الدول الأوروبية. وكان لكل طائفة تجارية شيخ يسمى (الشهندر) كان له الكلمة الفصل في قضايا التجارة وقوانينها. وقد عمل بعض من أبناء الطبقة الحاكمة أيضاً في التجارة كأسد باشا العظم الذي عمل مع شريكه يونس بتجارة الحج. وكذلك مفتي الأحناف حامد العمادي الذي عمل في تجارة القمح. حقق تجار دمشق في أوائل القرن التاسع عشر أرباحاً هائلة من التجارة، وقد تلاعب بعض التجار بالأسعار والأوزان وقوت الشعب مما أدى إلى انتفاضات العامة فهاجموا المحكمة، وطردوا القاضي ونهبوا الأفران، وتغيرت الأحوال عندما دخل إبراهيم باشا إلى دمشق وتدفق العديد من التجار الأوروبيين إليها، وأنشئت في دمشق محكمة تجارية للبت في قضايا التجار. ولم تستسلم الفعاليات التجارية للتحتدي الأوروبي للاقتصاد الدمشقي، بل طورت أنشطتها الاقتصادية للتأقلم مع الواقع الجديد، ونتج عن ذلك فرز اجتماعي وطبقي جديد فظهرت البورجوازية المحلية المرتبطة بالغرب. وبلغ عدد المؤسسات التجارية في دمشق سنة (١٨٣٨\*، ٦٦) مؤسسة تجارية قدر رأسمالها ما بين (٢٠ - ٢٥) مليون قرش، وكان من أبرز تجار دمشق الحاج محمد صالح صواف زادة الذي كان شهندر التجار ومصطفى السمان ومحمود آغا البغدادي ومصطفى الإدلبي والحاج محمد سبانو والحاج بكر القبايبي وغيرهم الكثير من التجار الذين زاد رأسمال كل واحد منهم عن المليون قرش<sup>(١٧)</sup>.

العثماني النظامي المرابط في دمشق لضرورة العيش، كما أن العديد منهم غادر المدينة نهائياً، واستقر في مراكز عمل على الساحل السوري أو هاجر إلى بلاد الغرب.

كانت القرى تحيط بدمشق من جهاتها الأربع، والঘوطنة تموّن دمشق بالمنتجات الزراعية من حبوب وخضار وفاكهة، وكان لكل قرية شيخ وهو رئيس الأسرة الفلاحية والأكثر تفرداً فيها فهو يساعد الاقطاعيين والأغوات في تحصيل الضرائب من جيوب الفلاحين، وكان نفوذ الفلاحين ضعيفاً وهم أكثر شرائح المجتمع الشامي تعرضاً للابتزاز والظلم في وقت غابت فيه سلطة القوانين وحل محلها سلطة القوة<sup>(٢١)</sup>. وخضع الفلاحون لابتزازات المرابين من اليهود والدائنين المسلمين من السوباش أيضاً فوصلت فائدة الديون إلى ٢٥% يجب أن تدفع مع الرأسمال في موسم الحصاد القادم. ولما كان من الصعب على الفلاحين تسديد ديونهم من الموسم، فإن هذه الديون كانت تسدد بمواد عينية أو إلقاء الحجز على ما يملك المديون مثل قطعة الأرض أو العقار الذي يسكن<sup>(٢٢)</sup>.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ظهرت فئة اجتماعية اغتنمت بفضل دخول كبيرة من الريع العقاري، وامتلكت بعض العائلات من أصحاب الملكيات الزراعية الواسعة عدة قرى، وحل هؤلاء محل الأعيان والأغوات مثال على ذلك عائلات (العظم، والعباد، ومردم بك والعجلاني).... الخ. ومن الناحية العملية كان هؤلاء الملاك غائبين عن مزارعهم، يديرونها عن طريق وكلائهم الذين بدورهم يبتزون قطاع الفلاحين<sup>(٢٣)</sup>.

### ثالثاً - الأوضاع الاجتماعية للسكان والرعاية الاجتماعية:

لقد تميز مجتمع مدينة دمشق بالتعايش الديني، واشتراك أبناء الديانات الثلاثة في العمل والسكن والتعامل. وصهر هذا المجتمع الجميع في بوتقته، وأعطى الجميع حقوقهم وسمح لهم بأعمالهم وعباداتهم، ولم تكن الوظائف الحكومية حكراً على فئة أو طائفة

معينة أو على خريجي المدارس الحكومية، بل حصل عليها كل من له حظوة من الدمشقيين، وأثبت كفاءته الوظيفية على اختلاف مذاهب السكان ومواهبهم وكفاءاتهم العلمية<sup>(٢٤)</sup>.

ويمكننا أن نستنتج من خلال الوثائق أن العثمانيين لم يغيروا من بنية المجتمع الدمشقي عرقياً أو لغوياً أو حتى في طريقة معيشتهم أو تنظيماتهم المحلية. وكل هم السلطة كان الحصول على جباية الضرائب وتوطيد الأمن والخطبة للسلطان العثماني.

ولم يتمكن النظام البيروقراطي للسلطة العثمانية من التغلغل في مجتمع مدينة دمشق، وحتى الأسر الأرستقراطية فيها، والتي أقامت علاقات متينة من خلال المصاهرات السياسية من أسر أرستقراطية عثمانية، كانت تبدي اعتراضها على تسرب اللغة التركية إلى بيوتها<sup>(٢٥)</sup>.

وكان نسيج المجتمع الدمشقي السكاني عبارة عن مركب من عدد من الجماعات المتماسكة فيما بينها، إما على أساس طائفي أو عشائري أو عائلي، وبدرجة أقل بين الأشراف والحرفيين والمتصوفة. وكان اتصال السلطة العثمانية بعناصر هذه الفئات عن طريق رؤسائها أو شيوخها<sup>(٢٦)</sup>.

ولم تكن شرائح المجتمع الدمشقي على درجة واحدة من النفوذ السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، بل توضع في السلم الاجتماعي، على درجات متفاوتة وحتى عناصر الفئة الواحدة لم يكونوا على مستوى واحد من النفوذ السياسي أو الاقتصادي كما تغير حال الفئة الواحدة بحسب الظروف التي أحاطت بالدولة العثمانية سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي. وكذلك بحسب ظروف دمشق الخاصة بها، ولقد استطاع العديد من أفراد المجتمع فيها، تغيير وضعهم الاجتماعي إلى نحو أفضل، وبقيت الفروق الاجتماعية مسيطرة على المجتمع الدمشقي<sup>(٢٧)</sup>.

وأما تقسيم العمل بين الطوائف الدينية فقد كان ناتجاً عن تقسيم الفضاء الاجتماعي للمدينة من جهة، وتقسيم العمل النقابي من جهة أخرى. فالأقلية المسيحية التي كانت متكثلة بصورة رئيسة في الزاوية الشمالية - الشرقية من المدينة (داخل الأسوار)، كانت تسيطر على مجموع صناعات البناء تقريباً، فالبناؤون وقاطعوا الأحجار، وعمال المقالع، وصناع الرخام، كانوا في معظمهم من المسيحيين، الذين أسهم أفرادهم في إيجاد هندسة المساكن «العربية» في دمشق، كما كانوا متقدمين في حرف الخياطة والصياغة والنسيج.

أما الحياة الاجتماعية لليهود في دمشق في القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، فقد كانوا من تجار دمشق الأغنياء، وبلغ عدد البيوتات التجارية اليهودية الشهيرة ٢٤ بيتاً رأسمالها قرابة خمس ملايين فرنك<sup>(٢٨)</sup>. وسيطروا على تجارة دمشق مع إيطاليا وباستثناء الطرفين وبعض تجار الأقمشة فإن الشرائح اليهودية الفقيرة كانت تمارس حرفاً بدائية، واحتكر اليهود الدمشقيون عمليات الصرافة وعقد الديون بفوائد وشكل اليهود جزءاً من نسيج المجتمع الدمشقي بما يحويه من تعددية، وكان اليهود يُعاملون معاملة خاصة و«مدللة» في كل المراحل التاريخية التي مرت فيها دمشق، وكانوا مواطنين معتبرين، ولكنهم هم من اختاروا العزلة وسكنوا في أحياء (خاصة بهم) وأغلقوا على أنفسهم في وجه العالم الآخر الذي كان متقبلاً لهم<sup>(٢٩)</sup>.

أما عن الرعاية الاجتماعية في دمشق فقد أنشأت السلطة العثمانية ما يسمى بديوان مال الأيتام في دمشق، نظراً للعدد الكبير من الأيتام في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بسبب حروب السلطنة مع روسيا واليونان ودول البلقان، وكان يرأس هذا الديوان مدير يعينه القاضي العام ومهمته الحفاظ على صندوق مال الأيتام واستثماره، فكان المدير يشتري عقارات ويقرض أموال بفوائد تتراوح بين ١٠ - ٢٠% حسب مدة القرض لكن تحت غطاء ما يسمى «المرابحة الشرعية» وكان الصندوق يخضع لرقابة السلطات العثمانية، وتصرف عائدات هذا الصندوق على

اليتمى والمجانين والمعتوهين، وقد لجأ المواطنون في دمشق من كل الطوائف إلى المحاكم الشرعية لتكليف الحاكم بحق الوصاية على يتامى الجميع من مسلمين ومسيحيين، وهذا أدى إلى تماسك المجتمع الدمشقي حينذاك<sup>(٣٠)</sup>.

كما لا ننسى بروز ظاهرة الرعاية الاجتماعية عن طريق الممتلكات التي توصف بأنها «أوقاف» كالأوقاف الخيرية مثل المساجد والمدارس والمستشفيات والغرض منها أن تستخدمها في نشر الدين الإسلامي، والأوقاف الأهلية ويقال «الخاصة» لها أو العائلية للمحافظة على إرث العائلة جيلاً بعد جيل.

وتوزع دخول هذه الأوقاف بحسب وصية الواقف، إما على الورثة أو على فقراء المدينة، ويلاحظ أن «أهل الذمة» كانت لهم أوقافهم أيضاً وكانت هذه الأوقاف معفاة من الضرائب الحكومية. لذا كانت المؤسسات الاجتماعية تنعم بكثير من الاستقلالية والأموال الطائلة، وحاولت الدولة العثمانية الوقوف في وجه المؤسسات الوقفية إلا أنها لم تستطع، لذلك لجأت إلى التخفيف الكلي لأعدادها بغية الإقلال من الأضرار الاقتصادية التي تسببها مؤسسة الوقف للدولة. من هنا فإن اقتصاد المجتمع الدمشقي كان يقوم على الوقف ويعمل بوساطته، وقسم كبير من الحوانيت والخانات المجهزة بأنوال النسيج جرى التبرع بها للأوقاف العامة أو الخاصة، وهناك طواحين مياه تقع خارج أسوار دمشق في باب السلام مُنحت أيضاً للأوقاف<sup>(٣١)</sup>.

#### رابعاً - مظاهر المجتمع الدمشقي ومدى تأثره بالغرب الأوروبي:

أما مظاهر المجتمع الدمشقي فهي تشمل العادات والتقاليد وأصول الزواج والعلاقة بين وضع الأسرة الاقتصادي وعدد أفرادها، كما تشمل الاحتفالات الجماعية كالأعياد والأفراح واستقبال موكب الحج الشامي، وتشمل الأزياء وغيرها، كما نرصد تطورات هذه المظاهر ومدى تأثرها بالغرب الأوروبي.

لقد شكلت الأسرة الدمشقية الصغيرة وحدة اجتماعية في البناء الاجتماعي، وكان الأب هو رأس هرم الأسرة ورئيسها، والمحافظ على هيبة العائلة أمام الآخرين في المجتمع،

ويليه الزوجة والأبناء، وكانت مجموعة الأسر في المدينة قد ارتبطت ببعضها البعض عن طريق روابط إما مهنية أو عرقية أو مصاهرة، ومن خلال هذه الروابط، تمكنت الأسرة من ممارسة نشاطها في الحياة العامة، ولم يتدخل العثمانيون في شؤون الأسرة، وبقيت على حالها حتى العقد الرابع من القرن التاسع عشر، فعندما خضعت دمشق للحكم المصري، وفتحت المجال للأوروبيين بدأ الغزو الاقتصادي لدمشق الذي ترك أثراً عميقاً. وكذلك أعقبه غزو فكري. نتج عنهما تفكك البنى الاقتصادية والاجتماعية القديمة التي كانت سائدة، لتحل محلها بنى وعلاقات اجتماعية جديدة<sup>(٢٢)</sup>.

وارتكزت الأسرة في بنائها على مؤسسة الزواج، والزواج بالنسبة للدمشقيين من الأعمال الهامة في الحياة، فما أن يبلغ الفتى سن البلوغ، حتى تبدأ أسرته في البحث عن زوجة له مناسبة شكلاً ومضموناً، وكانت المعايير آنذاك تشمل الزواج من القرية والأخلاق الطيبة والدين الصحيح<sup>(٢٣)</sup>.

وكانت تقام الاحتفالات بمناسبة زفاف العروسين، ويبدأ الاستعداد لها قبل أيام وتتم على مراحل وعلى مستوى أهل العروسين والأصدقاء، وانقسمت احتفالات الدمشقيين بالأعياد والأفراح إلى قسمين مدنية ودينية.

أما الدينية فقد انحصرت في أعياد الفطر والأضحى والمولد النبوي، وعند عودة الحجاج من الأراضي المقدسة، واعتاد أهل دمشق على عادات بهذه المناسبات مثل الزيارات للأهل والأصدقاء، وإخراج الصدقات، وصلة الأرحام ونحر الخراف وتوزيعها على الفقراء وتهئية الحلوى الخاصة بكل موسم<sup>(٢٤)</sup>.

كما كانت الاحتفالات المدنية تشهد مواسم وأعياد تقام بمناسبة جلوس السلطان على العرش أو ولادة أمير أو استقبال والٍ جديد، وكان أشهر الأعياد الرسمية في تلك الحقبة، هو عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني على العرش، وأقيم بهذه المناسبة نصب تذكاري أمام السرايا في دمشق (حالياً وزارة الداخلية بالمرجة) عام ١٩٠٠م. احتفالاً بالعيد الفضي لجلوس السلطان<sup>(٢٥)</sup> كما احتفل أهل الشام بقافلة الحج الشامي



ورافقها ولاية دمشق، وكانت سلامة قافلة الحج هي مقياس النجاح للسلطان أو إخفاقه، حيث لقب سلاطين آل عثمان بحُماة الحرمين الشريفين، وشاركت أحياء دمشق كافة في مظاهر الاستعداد لتسيير قافلة الحج ووداعها، ثم في استقبالها استقبلاً كبيراً حافلاً عن العودة من أداء مناسك الحج، ولعبت قافلة الحج الشامي دوراً مميزاً في حياة دمشق الاجتماعية والاقتصادية أثناء رحلتي الذهاب والإياب<sup>(٢١)</sup>.

أما أعياد المسيحيين فهي كثيرة جداً، على مدار السنة، فلا يكاد يمر أسبوع دون مناسبة دينية أو عيد لأحد القديسين أو ذكرى الأسرار المقدسة، ويقومون فيها بقداس ديني يمتنعون خلالها عن أعمالهم اليومية، ويقدم صاحب العيد الشموع للكنيسة وحسنة للكهنة، وكمية من الخبز المصنوع لهذه المناسبة<sup>(٢٢)</sup>.

وشكلت الأزياء مظهراً من مظاهر المجتمع الدمشقي، وعُرف الإنسان في تلك الحقبة من ملابسه وزيه، إذ أن الملابس لم تقرر وضعه الاجتماعي فحسب، بل حددت دينه ومذهبه ومهنته وحتى أصله. فقد كان لكل طائفة من الطوائف الدينية أزياء خاصة بها منها للعمل وغيرها للمواسم والأعياد

فقد ارتدى الرجال بشكل عام القنابيز وهو ثوب طويل يصل حتى مشط القدم، وتحتَه السروال ووضعوا على رؤوسهم الطرابيش، وألزم أهل الذمة (المسيحيون واليهود) مما كان يسمى بلبس (الغيار)، أما العمال والصناعيون فقد لبسوا القنابيز الكتانية والقطنية حسب المهنة<sup>(٢٣)</sup>.

وكانت المرأة الدمشقية محبة بغض النظر عن دينها، حيث كانت ثياب اليهوديات تختلف فقط باللون، ولم يكن اللباس النسائي يظهر من المرأة إلا عنقها وصدرها، ولبست النساء ملابس خاصة داخل الدور، وكذلك ملابس خاصة للسهرات والاحتفالات ومما لاشك فيه أنه قد طرأت بعض المتغيرات على التركيبة الاجتماعية والاقتصادية بفعل الثورة الصناعية في أوروبا، فزادت من الهوة الاقتصادية وبالتالي الاجتماعية، بين طبقة قليلة أصبحت تجني الثروات الضخمة من تكاملها مع أوروبا،

وأخرى تضم غالبية الشعب وتدفع ثمن منافسة البضائع الأوروبية لمنتجاتها الحرفية ولاشك أن هذا الوضع كان له انعكاساته على حجم الأسرة، ويلاحظ أن بعض الحرفيين الذين اقتضى عملهم الجلوس مثل القوافين (بائعي الأحذية) كان لهم أسر متوسطة الحجم، بمقاييس ذلك الزمن، تضم الواحدة منها ولدين إلى أربعة أولاد، ولكن بعض الحرفيين الذين اقتضى عملهم الحركة الدائمة مثل الحلاقين فكانت أسرهم أقل عدداً، تضم الواحدة منها ولداً إلى ثلاثة أولاد، أما المشتغلون بالعلم، فيلاحظ أنهم لا يتزوجون أو يتزوجون وينجبون أولاداً كثر<sup>(٣٩)</sup>.

وتغيرت الأحوال المدنية عند النساء الدمشقيات في نهاية الحكم العثماني نتيجة استيراد البضائع الأوروبية حتى أن الموضة غزت البيوت الدمشقية، وتغيرت الأزياء فأصبح لباس النسوة موحداً وتخلين عن الملابس القديمة، وأخذن يتبعن الملابس الإفرنجية<sup>(٤٠)</sup>.

واستخدم النسوة الحذاء المكشوف وسمي (كندرة) ولونها إما أسود أو أحمر وتخلين عن الخف والبابوج الأصفر والصرامي الحمر. وانتقد كثير من المعاصرين ظاهرة التفرنج في الأزياء والملابس إلا أنهم لم يستطيعوا فعل أي شيء مقابل هذا «الغزو الثقافي». وأخذ البعض يقلع عن لبس القنباز ويقلد أهل الساحل بلبس السروال العريض والصدريّة والدامر<sup>(٤١)</sup>.

أما بالنسبة للطوائف الأخرى فقد دخلت إليها بوابر التفتح والتمدد عن طريق البعثات التبشيرية الأجنبية التي بدأت تغد إلى المنطقة منذ أواخر القرن الثامن عشر، وسمحت الامتيازات الموقعة بين السلطنة والدول الأوروبية إلى «الوصاية» على طوائف معينة في الشام.

وكان لها إيجابيات في نشر العلم وبناء المدارس حيث تخرج منها أوائل المتتورين العرب وخاصة في دمشق والذين أصبحوا فيما بعد أبطال ورموز النهضة العربية الحديثة في القرن العشرين.

### خامساً - الوضع الاجتماعي للمرأة الدمشقية وتطوراتها:

عاشت المرأة الدمشقية في منتصف القرن التاسع عشر ضمن الأطر التقليدية، فكانت بعيدة عن العمل والعلم نوعاً ما، وتحسن وضعها العام في بداية القرن العشرين مع تسرب الأفكار الحديثة التي جلبتها الجاليات الأوروبية، ولم يمنع هذا المرأة من تملك العقارات والمتاجرة بها، وكان أهم عمل لها تربية الأولاد تربية صالحة، وهذا بحد ذاته مساهمة فعالة في نهضة المجتمع، ووصف المؤرخون المعاصرون المرأة الدمشقية بأنها جميلة الطلعة وحسنة الهمام، ربة منزل جيدة تُزين نفسها وتعتني بالورود والرياحين وكل ذلك داخل جدران البيت الشامي<sup>(٤٢)</sup>.

ووجد أن بعض النساء خرجن للعمل كمعلمات في الكتاب، لتعليم الأولاد مبادئ القراءة وقراءة القرآن الكريم فقط، وذكر القاسمي بأن المرأة في دمشق قد عملت أعمالاً خاصة كالبلانة والغسالة والرسامة والماشطة، وشاركت في ريف دمشق المرأة الرجل في الحقل وفي الأعمال المنزلية وتربية الأطفال<sup>(٤٣)</sup>.

كما امتلكت المرأة الدمشقية عقارات ومحلات تجارية ومقاهٍ ومارست الشركة التجارية لمضاعفة ثروتها، كما أنها كانت تتعامل مع غرفة تجارة دمشق التي كانت تسمى (أوضة التجارة) وتودع الأموال لديها، كما كانت المرأة الدمشقية تبيع وتشترى العقارات وتستأجر أراضي زراعية في دمشق وريفها<sup>(٤٤)</sup>.

وتبين من خلال وثائق المحاكم الشرعية أن أكثر النسوة اللاتي مارسن النشاط الاقتصادي كن من بنات الأعيان والذوات في مدينة دمشق وكن على مستوى كبير من الثراء وتملكن العقارات والدكاكين والأموال النقدية الطائلة<sup>(٤٥)</sup>.

عانت المرأة الدمشقية في تلك الحقبة من ظاهرة الطلاق التعسفي والذي كان يحدث أحياناً لأسباب تافهة كأن يحلف أحدهم على زوجته بالطلاق لأنها ذهبت من دون إرادته للفرجة على موكب الحج العائد من المدينة المنورة مع أختها، أو الخروج

لزيارة أهلها بلا إذن. كما عانت المرأة من ظاهرة تعدد الزوجات، حيث كان العديد من التجار والضباط يتزوجون بثلاث أو أربع نساء وعندما يتوفى أحدهم تقع الخلافات بين الزوجات على الإرث، كما انتشرت في تلك الحقبة ظاهرة زواج البديل (الشغار) أي أن يتزوج الرجل من أسرة، ويعطي أخته زوجة لابنه، وكان هذا سبباً للخلافات حين يطلق أحدهم زوجته فيسبب الطلاق عند العائلتين وكما ذكرنا سابقاً فإنه في مطلع القرن العشرين قد شهر بداية ظهور أفكار تحرر المرأة من خلال الطروحات التي أدلى بها كبار المفكرين من أمثال أحمد فارس الشدياق وفرنسيس مراكش، وعبد الرحمن الكواكبي، وأحمد أمين وظهرت أول حركة نسائية في دمشق في عام ١٨٧٩ على يد السيدة جوليا الحوراني حين أسست أول جمعية نسائية في سوريا والتي ساهمت مع العديد من التحولات من رفع شأن المرأة الدمشقية، كما أصدرت ماري عجمي مجلة «العروس» عام ١٩١٠ وهي أول مجلة أدبية اجتماعية في سوريا، وأنشأت السيدة نازك العابد مدرسة للبنات ومصنعاً لتشغيل النساء فيه لرفع مكان المرأة وتحسين وضعها الاجتماعي، وطالبت بحق النساء بالتصويت والانتخاب أثناء حكم فيصل (١٩١٨ - ١٩٢٠).

#### سادساً: أوقات الفراغ ووسائل الراحة والاستجمام لدى المجتمع الدمشقي:

عمل المجتمع الدمشقي على ملء أوقات فراغه بإيجاد وسائل تسلية كإقامة حفلات السهر والسهرات التي تمتد أحياناً حتى الصباح وخاصة في ليالي الشتاء الطويلة، وعُرف عن أهل دمشق بأنهم اجتماعيون بطبعهم ويحبون المرح، وكانت لديهم أماكن مخصصة في دورهم شبه مستقلة لاستقبال الضيوف تسمى (البراني) حيث كانوا يعقدون السهرات الدمشقية مع أشهر المطربين، وتعقد هذه السهرات دورياً كل أسبوع في بيت واحد منهم. وفي نهاية السهرة كان صاحب الدعوة يقيم مائدة ضخمة للمدعوين<sup>(١٦)</sup>.

أما خارج البيت فقد وجد أهل دمشق في المقاهي العديدة وسيلة لملء الفراغ فيجلسون في المقاهي يشربون القهوة والشاي ويدخنون النرجيلة ويشاهدون بعض الألعاب المسلية ككركوز عواظ أو «خيال الظل» أو سماع الحكواتي الذي كان يقرأ قصصاً تاريخية مسلية وتشد المستمع إليها بأحداثها وشخصياتها العظيمة، كعنتره وبيبرس وبني هلال<sup>(٤٧)</sup>.

أما الجاليات الأوروبية التي كانت تعيش في دمشق في تلك الحقبة فقد أقامت حفلات تنكرية وكرنفالات، وبسبب هذا الانفتاح على الغرب قلد بعض الدمشقيين هؤلاء الأجانب في لعب الورق والنرد والشطرنج في المقاهي التي انتشرت على ضفاف بردى وكان لبعض الأجانب من اليونان دور مهم في تنشيط المقاهي، وكان قد تم مقهى في دمشق هو (مقهى ديمتري) اليوناني كما بدأت تدخل في أواخر القرن التاسع عشر مهنة التمثيل إلى دمشق وانتشار العمل المسرحي والفرق المسرحية وأغلبها من مصر رغم معارضة بعض رجال الدين لهذه الظواهر الغربية<sup>(٤٨)</sup>.

وكان الدمشقيون يقضون أوقات فراغهم خارج المدينة في شهري الربيع والصيف وذلك في الحدائق والبساتين المليئة بالأشجار المثمرة وعلى ضفاف الأنهار وفي المروج الخضراء ويسمون هذه النزهات بـ «السيران» والذي أصبح تقليداً وجزءاً من حياة أهل دمشق حتى عصرنا الحاضر، ومن أهم هذه المتنزهات وادي الربوة، والمرجة الخضراء وساحة بوابة الميدان فوقاني، وقبر الشيخ رسلان، ومنزله باب شرقي، ووصف المؤرخ القساطلي هذه المتنزهات حيث قال في كتابه الروضة البهية: «أجمع الباحثون وأهل السياحة على أن دمشق كلها منتزه، وعدوها جنة الأرض، لنضارتها وكثرة بساتينها وحدائقها»<sup>(٤٩)</sup>.

كما قصد أهل دمشق المتنزهات البعيدة كعين الفيحة ودمر والغوطة بواسطة العربات التي كانوا يؤجرونها، ويقودها رجل يسمى «العرجي»، كما كانت تقوم المدارس

برحلات ترفيهية للطلاب في فصل الربيع من كل عام، مصطحبين معهم الآلات الموسيقية ويقضون يوماً كاملاً في البساتين حتى المساء<sup>(١٠)</sup>.

أما عن النزاهات الخاصة بالنساء فقد كانت تدعو إحداهن وهي ميسورة الحال السيدات الأخريات إلى حديقة مستورة (مثل حديقة باب السلام) فيقمن حفلات الغناء والألعاب الخاصة ويأكلهن طعاماً شهياً ويعدن إلى منازلهن قبل غروب الشمس.

كما كانت النساء تدعوا بعضها بعضاً وخاصة الجيران والأقارب للذهاب إلى الحمام فكان للحمامات الدمشقية دور هام في التسلية والنظافة والخدمة الاجتماعية العامة.

وهناك مثل دمشقي يقول: «نعيم الدنيا الحمام». وانتشرت هذه الحمامات في كل أنحاء دمشق وكان عددها زهاء خمسين حماماً وأشهرها حمام القيشاني، وحمام نور الدين في البزورية وحمام رامي في باب البريد، وتميزت هذه الحمامات بالجمال والفخامة والروعة والنظافة والفرش الجيد وكثير منها ما زال منذ تلك الحقبة مستخدماً حتى الآن.

### خاتمة:

لقد تبين لنا من خلال البحث تنوع عناصر السكان في مدينة دمشق في القرن التاسع عشر فكانها لوحة فسيفساء عكستها طبيعة التآلف والتعايش بين كل الطوائف. كما برزت في فئات المجتمع وشرائحه طبقة الحكام والموظفين والعلماء الذين شغلوا دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية إلى جانب رجال الدين والأشراف من حيث السيطرة على الأموال والعقارات، أما بقية الشرائح كالفلّاحين والحرفيين والتجار فقد تمتعت بالحيوية والنشاط في الزراعة والصناعة والتجارة، وشهدت حقبة البحث بروز ظاهرة الرعاية الاجتماعية، والتي تمثلت بصندوق مال الأيتام، ونظام الأوقاف الذي لولاه لما بقي الكثير من القصور والتركات والمراكز المهمة حتى يومنا هذا.

وأظهر البحث أن المقولات التي شاعت في الأدبيات التاريخية بأن الدولة العثمانية قد عملت على التمييز الديني بين الدمشقيين غير صحيحة، فقد كان أهل الذمة (مسيحيين ويهود) يتمتعون بكامل الحقوق المدنية والدينية، ووصل كثير معهم إلى مناصب كبيرة في ظل قاعدة لمجتمع مدني تعايشت فيه كل الطوائف.

كما ظهرت صناعات جديدة، نتيجة تبدل بعض العادات الاجتماعية كاللباس مثلاً. وتطورت دمشق من منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين فأصبحت من أهم المراكز التجارية في المشرق العربي لموقعها المتميز عن طريق الحج إلى مكة ونشطت النجارة مع أوروبا المتطورة صناعياً وعلمياً، وأصيب العمل الحرفي بنكسة نتيجة منافسة البضائع الأجنبية، فقد عملت الشركات الأجنبية على ترويج بضائعها، على حساب الصناعة الوطنية الدمشقية، وشهدت هذه الفترة تنامي الطبقة البرجوازية الممثلة من التجار والصناعيين، والتي لم تستطع أن تلعب دوراً مهماً كما فعلت البرجوازية الأوروبية فبقيت قاصرة ومستقلة أما وضع المرأة الدمشقية فكان مميزاً إذ كانت مهمتها الأولى كأم بتنشئة الجيل، ومع ذلك حاولت القيام ببعض الأعمال خارج المنزل فعملت بالتجارة أو استثمار المحلات والأراضي وقامت بأعمال خيرية ووقفية وساعدت على فتح مدارس للبنات وتنوعت الأزياء في نهاية تلك الحقبة، وتوجه قسم كبير من السكان نحو الملابس الأوروبية في الوقت الذي حافظ القسم الآخر على اللباس التقليدي حتى منتصف العشرينات من القرن الماضي.

ولم يتوان أهل الشام عن ممارسة عادات وتقاليد معينة عميقة الجذور في المجتمع الدمشقي كالزواج الاحتفالات بالأعياد الوطنية والدينية الهامة وبقيت وسائل اللهو والتسلية محدودة بالرغم من الانفتاح على الغرب وبداية ظهور المسرح.

## الهوامش

- (١) - فيليب خوري، طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، من ١٨٦٠ - ١٩٠٨م، بحث قدم إلى المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ١٩٧٨م، دمشق ١٩٧٩، ج ١، ص ٤٤٢.
- (٢) - عبد الكريم غرابية، سورية في القرن التاسع عشر (٨٤٠ - ١٨٧٦)، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٧٦.
- (٣) - ماري دكران سركو، تطور دمشق الاجتماعي والاقتصادي والعمراني فترة السلطان عبد الحميد، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق - قسم التاريخ ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧، ص ٦٣.
- (٤) - جان سوفاجيه، دمشق الشام، لمحات تاريخية، ترجمة أفراس البستاني، بيروت ١٩٦٥، ص ٤٩.
- (٥) - يوسف نعيصة، يهود دمشق، ط ١، دار المعرفة، دمشق ١٩٨٨، ص ٨.
- (٦) - انظر عبد العزيز العظمة، تاريخ دمشق وأهلها، مرآة الشام، دار الفكر، بيروت ١٩٨٧، ص ٣٠.
- (٧) - ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ترجمة عمرو دينا الملاح، دمشق ١٩٩٨، ص ٦٣.
- (٨) - انظر عبد العزيز عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سورية، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧، ص ٣٠٨.
- (٩) - ماري سركو، المرجع السابق ص ٨.
- (١٠) - أدونالد كواترث، الدولة العثمانية، ترجمة أيمن إرمنازي الرياض ١٩٩٩، ص ٩.



- (١١) - شاكِر النابلسي، عصر التكايا والرعايا... وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني، الطبعة الأولى بيروت، ١٩٩٩، ص ١٧٧.
- (١٢) Meyers Grosses Universal Lexikon, Manheim 1985, Band 13.S. 359.
- (١٣) - خالد بني هاني: تاريخ مدينة دمشق وعلمائها خلال الحكم المصري، دمشق ٢٠٠٥، ص ٣٨.
- (١٤) - Schilcher Linda, Families: politics damascene faction and stater of the 18<sup>th</sup> and 19<sup>th</sup> centurics Stuttgart. 1985 5249.
- (١٥) - خالد بن هاني، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١٦) - خيرية قاسمية: حياة دمشق الاجتماعية كما صورها المعاصرون أواخر العهد العثماني، دمشق ٢٠٠٠، ص ٣٤.
- (١٧) - شيلشر، المرجع السابق، ص ٦٧.
- (١٨) - خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص ٣٩.
- (١٩) - ملكة أبيض، اقتصاد دمشق السياسي في القرن التاسع عشر في: المعرفة السورية دمشق في كانون الثاني ٢٠٠٨، ص ٥٤.
- (٢٠) - سهام هندراوي، مدينة دمشق في العهد الحميدي، رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة دمشق ٢٠٠٦، ص ١٨.
- (٢١) - يوسف نعيسة، أوضاع الفلاحين في دمشق وصناعاتها ١٧٧٢ - ١٨٤٠م، في: مجلة دراسات تاريخية العدوان ٢٣ و ٢٤، ١٩٨٦، ص ٤٧.
- (٢٢) - ملكة أبيض، المرجع السابق، ص ٥٦.
- (٢٣) - ماري سركو، المرجع السابق، ص ٣٧.

- (٢٤) - محمد غسان عبيد، تاريخ دمشق ١٧٢٤-١٧٥٦، أطروحة دكتوراه بإشراف د. محمود عامر - جامعة دمشق - قسم التاريخ ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، ص ١٠٢.
- (٢٤) - مكنون جمعة، إيالة دمشق في ظل الإصلاحات والتنظيمات العثمانية - رسالة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق د. ت. ص ١٨٨.
- (٢٥) - عبد الكريم رافق، مظاهر سكاتية من دمشق في العهد العثماني في: مجلة دراسات تاريخية العددان ١٥ و ١٦ أيار ١٩٨٤، ص ٢٦.
- (٢٦) - ملكة أبيض، المرجع السابق ص ٥٤.
- (٢٧) - سمير عبده، اليهود السوريون، منشورات حسن ملص، دمشق ٢٠٠٣، ص ٦٦.
- (٢٨) - انظر الوطن السورية - دمشق ١٩ - ٨ - ٢٠٠٨.
- (٢٩) - انظر ماري سركو، مرجع سابق، ص ٩٠.
- (٣٠) - انظر نايف صياغة: الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، دمشق ٩٩٥، ص ١٥٧.
- (٣١) - يوسف نعيمة، مجتمع مدينة دمشق، ج ٢، ص ٤٦٥.
- (٣٢) - مكنون جمعة، المرجع السابق، ص ١٧٥.
- (٣٣) - عبد العزيز العظمة، المرجع السابق، ص ٨٦.
- (٣٤) - انظر قتيبة الشهابي، دمشق تاريخ وصور، دمشق ١٩٨٦، ص ٨٧.
- (٣٥) - انظر ابن كنان الصالحي، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني، يوميات شامبية، تحقيق أكرم العلبي دمشق ١٩٩٤، ص ٣١١.
- (٣٦) - انظر ماري سركو، المرجع السابق، ص ١٢٦.
- (٣٧) - نعمان القسطنطي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، ١٨٧٩، ص ١٠٣.

- (٣٨) - انظر عبد الكريم رافق، مظاهر سكانية من دمشق، ص ٢٣.
- (٣٩) - القساطلي، مرجع سابق، ص ١٠٣.
- (٤٠) - العظم، مرآة الشام، ص ٧٣.
- (٤١) - انظر عبد العزيز العظمة: مرآة الشام، ص ٧٧.
- (٤٢) - محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية - تحقيق ظافر القاسمي، باريس، ١٩٦٠، ص ٤٠٣.
- (٤٣) - انظر ماري سركو، المرجع السابق، ص ١١٥.
- (٤٤) - المرجع السابق، ص ١١٧.
- (٤٥) - انظر أحمد حلمي العلاف، دمشق مطلع القرن العشرين، دمشق ١٩٧٦، ص ٦.
- (٤٦) - محمد كرد علي، خطط الشام، ٦ أجزاء، دمشق، ١٩٢٥، ١٩٢٨، ج ٦، ص ٢٨٠.
- (٤٧) - القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ص ٤٧٠.
- (٤٨) - القساطلي، مرجع سابق، ص ١٦٠.
- (٤٩) - فخري البارودي، مذكرات، ستون سنة تتكلم، دمشق ١٩٥١، ص ٤٤.

## المصادر والمراجع

- ١ - المصادر والمراجع العربية:
- ١ - ابن كنان الصالحي، صفحات نادرة من تاريخ دمشق في العصر العثماني، يوميات شامية، تحقيق أكرم العلبي، دمشق ١٩٩٤.
- ٢ - أحمد حلمي العلاف، دمشق في مطلع القرن العشرين، دمشق ١٩٧٦.
- ٣ - خالد بن هاني، تاريخ مدينة دمشق وعلمائها خلال الحكم المصري، دمشق ٢٠٠٥.
- ٤ - خيرية قاسمية، حياة دمشق الاجتماعية كما صورها المعاصرون أواخر العصر العثماني دمشق ٢٠٠٠.
- ٥ - دونالد كواترت، الدولة العثمانية، ترجمة أيمن أرمنازي، الرياض، ١٩٩٩.
- ٦ - سمير عبده، اليهود السوريون، منشورات حسن ملص دمشق ٢٠٠٣.
- ٧ - سهام هندأوي، مدينة دمشق في العصر الحميدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق ٢٠٠٦.
- ٨ - شاكر النابلسي، عصر التكايا والرعايا.... وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العصر العثماني، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٣.
- ٩ - عبد الكريم رافق، مظاهر سكانية من دمشق في العصر العثماني في: مجلة دراسات تاريخية العددان ١٥ و ١٦ أيار ١٩٨٤.
- ١٠ - عبد العزيز عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٧.
- ١١ - عبد العزيز العظمة، تاريخ دمشق وأهلها، مرآة الشام، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٧.

- ١٢ — عبد الكريم غرابية، سورية في القرن التاسع عشر (١٨٤٠ — ١٨٧٦)، القاهرة، ١٩٦٢.
- ١٣ — فخري البارودي، مذكرات ستون سنة تتكلم، دمشق ١٩٥١.
- ١٤ — فيليب خوري، طبيعة السلطة السياسية وتوزعها في دمشق، بحث قدم إلى المؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام، ١٩٧٨، دمشق ١٩٧٩.
- ١٥ — قتيبة الشهابي، دمشق تاريخ وصور، دمشق ١٩٨٦.
- ١٦ — ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمر ودنيا الملاح، دمشق ١٩٩٨.
- ١٧ — ماري دكران سركو، تطور دمشق الاجتماعي والاقتصادي والعمراني فترة السلطان عبد الحميد الثاني، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق ٢٠٠٦ — ٢٠٠٧.
- ١٨ — محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، باريس ١٩٦٠.
- ١٩ — محمد غسان عبيد، تاريخ دمشق (١٧٢٤ — ١٧٥٦) رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة دمشق ٢٠٠٣ — ٢٠٠٤.
- ٢٠ — محمد كر علي/ خطط الشام ٦ أجزاء دمشق ١٠٢٥ — ١٩٢٨.
- ٢١ — مكنون جمعة، إيالة دمشق في ظل الإصلاحات والتنظيمات العثمانية — رسالة ماجستير غير منشورة — جامعة دمشق — د. ت.
- ٢٢ — ملكة أبيض، اقتصاد دمشق السياسي في القرن التاسع عشر في: المعرفة دمشق عدد كانون الثاني ٢٠٠٨.
- ٢٣ — نايف صياغة، الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، دمشق ١٩٩٥.
- ٢٤ — نعمان القساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت ١٨٧٩.

٢٥ - يوسف نعيسة: مجتمع مدينة دمشق في الفترة ما بين ١٧٧٢ - ١٨٤٠، دار طلاس دمشق ١٩٨٦.

٢٦ - يوسف نعيسة: يهود دمشق، ط١، دار المعرفة، دمشق ١٩٨٨.

٢٧ - يوسف نعيسة: أوضاع الفلاحين في دمشق وضاحتها ١٧٧٢ - ١٨٤٠ في: مجلة دراسات تاريخية العددان ٢٣ و ٢٤ - ١٩٨٦.

٢ - الصحف:

١ - صحيفة الوطن السورية - دمشق ٢٠٠٨.

٣ - المصادر والمراجع الأجنبية:

1 - Linda Schilcher - schatowski; Families in politics damascene faction and statates of the 18<sup>th</sup> and 19<sup>th</sup> centuries, Stuttgart. 1985.

2 - Meyers Grosses Universal Lexikon, Munchen 1985.